سلسلة الدعوة والإرشاد (٨)
نحو توجيه المرأة المسلمة

خطوات إلى حياة طيبة

تفضل بمراجعته
فضيلة العلامة الشيخ
عبدالرحمن بن ناصر البراك

جمعه
فهد بن سليمان القاضي

المكتب التعاوني للدعوة والإرشاد وتوعية الجاليات بالنسيم
هاتف ٢٣٢٨٢٢٦ - ٢٣٥٠١٩٥ فاكس ٢٣٠١٤٦٥



خطوات إلى
حياة طيبة



خطوات إلى حياة طيبة

تفضل بمراجعته فضيلة العلامة الشيخ

عبدالرحمن بن ناصر البراك

جمعهُ

فهد بن سليمان القاضي

الطبعة الاولى

١٤١٨هـ

ح المكتب التعاوني للدعوة والإرشاد بالنسيم ، ١٤١٨هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

القاضي ، فهد سليمان

خطوات إلى حياة طيبة - الرياض.

١٠٠ ص ؛ ١٢ × ١٧ سم

ردمك : ١ - ٢ - ٩١٨٥ - ٩٩٦٠

١ - الوعظ والإرشاد ٢ . الأخلاق الإسلامية

أ- العنوان

ديوي ٢١٣ ١٨/٢٧٧٦

رقم الايداع ١٨/٢٧٧٦

ردمك : ١ - ٢ - ٩١٨٥ - ٩٩٦٠

طبع على نفقة

المكتب التعاوني للدعوة والارشاد وتوعية الجاليات بالنسيم

هاتف/ ٢٣٢٨٢٢٦ ، ٢٣٥٠١٩٥ فاكس/ ٢٣٠١٤٦٥

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ، وسيئات أعمالنا . من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ﷺ .

أما بعد :

فهذه رسالة إليك أنت يا أمة الله أمّا وأختاً وزوجة وابنةً، يا من علّق النبي ﷺ خيريتنا بحسن التعامل معك ، فقال ﷺ : **«أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً ، وخياركم خياركم لنسائهم»**[1] .

---

(١) رواه الترمذي ، وقال : حديث حسن صحيح .

والباعث لكتابة هذه الرسالة هو التذكير ، امتثالاً لأمر الله عز وجل حيث قال : ﴿وذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَىٰ تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾[1] .

ولاحظي ـ وفقك الله أيتها المؤمنة ـ كيف ربط الانتفاع بالذكرىٰ بالإيمان ، فعلىٰ قدر إيمان العبد يكون انتفاعه بالذكرىٰ .

إن من نعم الله علينا أن نشأنا في هذا المجتمع الذي هو أفضل المجتمعات المعاصرة ـ في الجملة ـ وأقومها منهجاً وأصحها سلوكاً ، فترىٰ في أهله حب الخير وحب أهله ، وإقامة الشعائر الظاهرة ، والتسابق إلىٰ فعل الخير وإطعام الجائعين ومساعدة المحتاجين مهما فصلت بينهم المسافات والحدود ، ولله الحمد والمنَّة .

وهذا الخير كله ـ الديني والدنيوي ـ إن لم نجاهد في

(١) سورة الذاريات ، الآية : ٥٥ .

حفظه وتنميته ، فإنه سيحل محله الشر ؛ لأن النفس أمارة بالسوء . كما أن هناك من يسعى سعياً شديداً في نشر الرذيلة ومحاربة الفضيلة ، وهؤلاء هم المنافقون والذين في قلوبهم مرض ، وهذه الفئة ما سلم منها مجتمع من المجتمعات .

فإن نحن لم نجاهد في نشر الخير وتنميته ، وأقول «نجاهد» أي نستفرغ وسعنا وجهدنا في ذلك ، لا أن يكون سعينا جهوداً مبعثرة في ساعات متفرقة حسب هوى النفس ورغبتها ، إن نحن لم نفعل ذلك فسيكثر الشر ويرحل الخير ويحل الفساد .

وكوننا أحسن من غيرنا ، والخير لازال ـ ولله الحمد ـ ظاهراً لا يوجب التهاون بما عندنا من الفساد والانحراف الذي تجب المبادرة إلى علاجه والجد في ذلك دائماً . فإليك أيتها المسلمة عشر مسائل تمس الحاجة إلى التنبيه عليها لتحقيق

التقوىٰ . وكون بعضها مما تكرر طرقه وكثر الحديث في شأنه ليس مدعاة للإعراض عنه والزهد في بحثه . بل ذلك علامة علىٰ أهميته وتأكد الحاجة إلىٰ علاجه . وشأن المرأة العاقلة المنصفة التي تؤثر رضا ربها علىٰ هوىٰ نفسها ، وتقدم شرع الله علىٰ رغبات الناس وعاداتهم أن تبحث عن الحق بتجرد وإنصاف ثم تتبعه .

ولا يفوتني في هذا المقام أن أشكر كل الذين ساهموا في إعداد هذه الرسالة ، وأخص منهم صاحب الفضيلة العلامة الشيخ عبد الرحمن بن ناصر البراك الذي تفضل بمراجعتها ، فجزاهم الله جميعاً خير الجزاء .

الصلاة

إن من محاسن ديننا هذه الصلوات الخمس التي هي ركن الإسلام الأعظم بعد الشهادتين وعموده الذي لا يقوم بناؤه إلا عليه . فلا حَظَّ في الإسلام لمن ترك الصلاة [١] . ومن حافظ عليها كانت له نوراً وبرهاناً ونجاة يوم القيامة .

ولقد اختصت الصلاة بخصائص ليس لغيرها من العبادات، منها : أنها فرضت في السماء، فرضها الله على نبيه ﷺ من غير واسطة ليلة المعراج ، ومنها : أنها أول ما فرض من أحكام الإسلام بعد الشهادتين ، ومنها : أنها فرضت في مكة قبل الهجرة . ومن ذلك : أنها تجب في جميع الأحوال، فهي واجبة في الصيف وفي الشتاء ، وفي السلم وفي الحرب، وفي حالة الصحة والمرض . وتجب على

(١) أي لا نصيب له .

كل مكلف، على الغني والفقير، والذكر والأنثى، والحر والعبد. ومما اختصت به أنه يؤمر بها في سن مبكرة من حين التمييز، قال رسول الله ﷺ: «**مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين، واضربوهم عليها وهم أبناء عشر، وفرقوا بينهم في المضاجع**»[1].

ومن خصائصها: أنه يكفر من تركها، قال رسول الله ﷺ: «**إن بين الرجل وبين الشرك والكفر ترك الصلاة**»[2].
وقال عبد الله بن شقيق التابعي الجليل ـ رحمه الله ـ: «**كان أصحاب رسول الله ﷺ لا يرون شيئاً من الأعمال تركه كفر غير الصلاة**»[3].

وفي مجتمعنا ـ ولله الحمد والمنة ـ نشهد صوراً وضيئة من صور الاعتناء بها. فما أكثر ما نرى الرجال والنساء إذا

(١) حديث حسن، رواه أبو داود بإسناد حسن، قاله النووي.
(٢) رواه مسلم.
(٣) رواه مسلم.

حانت الصلاة بادروا إلى إقامتها . فهذه كانت منهمكة في عملها وشئون بيتها فلما وجبت فريضة الله عليها قطعت أعمالها وأشغالها وقامت تؤدي ما أوجب الله عليها التماساً لرضاه، وهؤلاء الرجال والنساء مسافرون ولهم غاية يريدون الوصول إليها ، ولكن لما حان وقت الصلاة أوقفوا سيارتهم وقاموا ركعاً سجداً يؤدون فريضة الله ، ثم واصلوا سيرهم ، إلى غير ذلك من الصور الوضيئة .

ولكن مع ذلك هناك من يقصر . فمن النساء من لا تكمل الطهارة ، وقد قال رسول الله ﷺ : «**لا يقبل الله صلاة بغير طهور**» [(١)] ، إما بسبب وجود ما يحول دون وصول الماء إلى البشرة ، أو بسبب عدم إسباغ الوضوء على الأعضاء المفروضة ، أو غير ذلك .

ومن النساء من اعتادت تأخير الصلاة إلى آخر وقتها ، وفي الحديث عن النبي ﷺ : «**تلك صلاة المنافق يجلس يرقب**

(١) رواه مسلم .

الشمس حتى إذا كانت بين قرني الشيطان قام فنقرها أربعاً لا يذكر الله إلا قليلاً »[1] . وصلاة العشاء قد ورد استحباب تأخيرها عن أول وقتها ، لكن من النساء من يؤخرنها حتى يفرغن من جميع أعمالهن وأشغالهن ، فإذا هن في حالة من التعب والإعياء والرغبة في النوم ، فيصلينها بكسل وعدم خشوع ولا حضور قلب ، وليس لابن آدم من صلاته إلا ما عقل . بل ربما تمادى بعضهن في التأخير حتى تجاوزن نصف الليل . هذا وقد رأى النبي ﷺ من يعذب بأن يهشم رأسه بالحجارة ـ نسأل الله العافية والسلامة ـ . ثم يعود صحيحاً كما كان ، ثم يهشم ، وهكذا لا يزال في هذا العذاب ، فلما سأل عنه قيل له هذا هو الذي يأخذ القرآن فيرفضه وينام عن الصلاة المكتوبة .

(١) رواه الجماعة إلا البخاري وابن ماجه .

أيتها المسلمة :

إن تأخير الصلاة عن وقتها عمداً من أعظم الذنوب وأكبر الكبائر ، بل إن من يفعل ذلك فإنه يخشى على دينه ، نسأل الله العافية والسلامة .

وقد يقول قائل : أليس النوم عذراً في تأخير الصلاة عن وقتها ؛ لحديث «**رفع القلم عن ثلاثة**» ـ ومنهم : «**النائم حتى يستيقظ** »[(١)] ؟ فالجواب : أن النوم عذر في حق من عزم على القيام للصلاة ولكن غلبه النوم ـ . أما من لم يعزم على القيام ولم يتخذ سبباً للاستيقاظ فإنه لا يعذر ؛ لأنه مفرط .

والواجب على كل مسلم ومسلمة أن يأخذ بالأسباب المعينة له على القيام لصلاة الفجر ، ومنها : التبكير بالنوم لصلاة الفجر ، واستعمال المنبه ، والتعاون بين أفراد الأسرة ،

(١) قال في صحيح الجامع : صحيح رواه الترمذي وابن ماجه والحاكم .

فتوقظ المرأة زوجها والرجل امرأته ، والوالد ولده ، وهكذا .
لكن العجيب أن الشيطان يغوينا بمثل ما أغوىٰ به أبوينا عليهما السلام ، فقد أسكنهما الله الجنة وأباح لها أن يأكلا منها حيث شاءا رغداً إلا تلك الشجرة . فلم يزل الشيطان يوسوس لهما ويعلي قدرها في نفسيهما حتىٰ أكلا منها . وها هو يعيد معنا المكيدة بنفس الأسلوب ، فقد أباح الله لنا النوم متىٰ ما شئنا ما لم يصرفنا عن طاعة . لكن النفس لا تحرص عليه ولا تتشبث به إلا إذا وافق وقت صلاة .

أيتها المسلمة :

اعرفي شأن الصلاة ، واعلمي أن لها ثمرات معجلة غير ما ادخره الله لأهلها حين يودعون في قبورهم فتشفع لهم أعمالهم ، وحين يقوم الناس لرب العالمين . فمن ثمراتها العاجلة : أن الله يحفظ بها العبد فيكون في ذمة الله وحفظه وكلاءته ، يحفظه في بدنه وعقله وماله وأهله وذريته . قال رسول الله ﷺ : «**احفظ الله يحفظك**» .

وفي الحديث عن النبي ﷺ قال : «قدم إبراهيم عليه السلام أرض جبار ومعه سارة وكانت أحسن الناس ، فقال لها : إن هذا الجبار إن يعلم أنك امرأتي يغلبني عليك فإن سألك فأخبريه أنك أختي، فإنك أختي في الإسلام ، فإني لا أعلم في الأرض مسلماً غيري وغيرك. فلما دخل أرضه رآها بعض أهل الجبار أتاه فقال له : لقد قدم أرضك امرأة لا ينبغي لها أن تكون إلا لك ، فأرسل إليها فأتي بها ، فقام إبراهيم عليه السلام إلى الصلاة ، فلما دخلت عليه لم يتمالك أن بسط يده إليها فقُبضت يده قبضة شديدة ، فقال لها : ادعي الله أن يطلق يدي ولا أضرك ، ففعلت فعاد ، فقبضت أشد من القبضة الأولى ، فقال لها مثل ذلك ففعلت ، فعاد ، فقبضت أشد من القبضتين الأوليين . فقال : ادعي الله أن يطلق يدي فلك الله أن لا أضرك، ففعلت وأطلقت يده ، ودعا الذي جاء بها فقال له : إنك إنَّما أتيتني بشيطان ولم تأتني بإنسان فأخرجها من أرضي وأعطها هاجر . قال: فأقبلت تمشي ، فلما رآها إبراهيم عليه

السلام انصرف [1] فقال لها : مَهْيَم؟[2]. قالت : خيراً ، كف الله يد الفاجر وأخدم خادماً »[1] .

كذلك من آثارها العاجلة : النشاط ، وانشراح الصدر . روى البخاري ومسلم عن النبي ﷺ قال : «**يعقد الشيطان على قافية رأس أحدكم إذا هو نام ثلاث عقد يضرب مكان كل عقدة : عليك ليل طويل فارقد ، فإن استقظ فذكر الله انحلت عقدة ، فإن توضأ انحلت عقدة ، فإن صلى انحلت عقده كلها ، فأصبح نشيطاً طيب النفس ، وإلا أصبح خبيث النفس كسلان** » .

ولو أردنا استقصاء آثار الصلاة وثمراتها وفوائدها لطال بنا المقام ، لكن لعل فيما ذكر تنبيهاً لمن في قلبه حياة .

---

(١) يعني من الصلاة التي كان فيها .

(٢) أي ما شأنك وما خبرك .

(٣) رواه البخاري ومسلم .

التوكّل على الله

إن التوكل على الله شعبة من شعب الإيمان وواجب من أهم واجباته . قال تعالى : ﴿وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين﴾ . وقد يطرأ على العبد نقص فيه وضعف في تحقيقه تبعاً لضعف الإيمان ونقصه . وحقيقة التوكل هي [**اعتماد القلب على الله وتفويض الأمور إليه**] . ولا ينافيه فعل الأسباب بل فعل الأسباب مع التوكل على الله قد دلّ عليه الشرع والعقل .

ولكن إذا ضعف التوكل مال القلب إلى الأسباب وتعلق بها وربط تحقق النتائج بها ، إن قويت الأسباب جزم بالنتيجة ، وإن ضعفت ضعف رجاؤه بالنتائج ، وإن اضمحلت ـ الأسباب ـ يئس من النتائج .

ونشهد في واقعنا صوراً لضعف التوكل . فمنها : الاعتماد في الرزق على الأسباب ، كالوظائف ، كأن الرزق لا يحصل إلا عن طريقها . لا شك أن الوظيفة سبب، لكن الله سبحانه وتعالى هو الرزاق ذو القوة المتين . ولا يعني هذا أن يترك العبد التكسب والتسبب لذلك . بل يبذل الأسباب وقلبه متعلق بالله وحده . ومثال آخر لضعف التوكل : التعلق بالأسباب في حفظ الصحة . وكما تقدم لا يعني هذا الدعوة إلى ترك ما جعله الله سبباً لحفظ الصحة وعلاج الأمراض والوقاية منها . بل تبذل الأسباب ويعتمد القلب على الله وحده ، ويؤمن بأنه النافع الضار ، لا مانع لما أعطى ولا معطي لما منع ، لا يأتي بالحسنات إلا هو ، ولا يدفع السيئات إلا هو سبحانه وتعالى .

أمور تعين على تحقيق التوكل :

لعل منها :

١ ـ تكميل الإيمان ، قال الله عز وجل : ﴿وَعَلَى اللَّهِ

فَتَوَكَّلُوا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾[1] . فإذا كمل إيمان العبد نتج عنه كمال التوكل ، فإن التوكل شعبة من شعب الإيمان .

٢ ـ تعلم العلم (الشرعي) ليعرف الحق فيثبت عليه ، بخلاف من قَصُر علمه فإنه يكون متردداً لا يستقر على حال ولا يجزم برأي . قال الله عز وجل : ﴿فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ﴾[2] . وقال تعالى عن الأنبياء عليهم السلام أنهم قالوا لأقوامهم : ﴿وَمَا لَنَا أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا﴾[3] .

٣ ـ قراءة سير المتوكلين وأخبارهم ، وسيدهم هو النبي ﷺ . ومن ذلك قصة هاجر لما وضعها إبراهيم هي وابنها الرضيع إسماعيل عليهم السلام في صحراء ليس فيها أنيس ولا ماء ولا شيء ـ امتثالاً لأمر الله العليم الحكيم الرحيم ـ

(١) سورة المائدة ، الآية : ٢٣ .
(٢) سورة النمل ، الآية : ٧٩ .
(٣) سورة إبراهيم ، الآية : ١٢ .

وترك عندهما جراباً فيه تمر وسقاء فيه ماء، ثم قَفّىٰ إبراهيم منطلقاً، فتبعته أم إسماعيل فقالت: يا إبراهيم أين تذهب وتتركنا بهذا الوادي الذي ليس فيه أنيس ولا شيء؟ ثم قالت له: آلله أمرك بهذا؟ قال: نعم. قالت: إذن لا يضيعنا. قالتها ثقة بالله وتوكلاً عليه وتسليماً لأمره. ثم نفذ الطعام والماء وعطشت وعطش ابنها وشارف على الهلاك. ثم جاءهما الفرج من عند الله [1].

٤ ـ ومن الأسباب المعينة على تحقيق التوكل وتكميله بل أعظمها وأجلها: معرفة عظمة الرب سبحانه وتعالى وجلاله وكماله وتمام قدرته سبحانه واطلاعه على أمور عباده. قال تعالى: ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ * الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ * وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ * إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [2]. وقال تعالى: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ وَكَفَىٰ بِهِ

---

(١) القصة رواها تامة البخاري.

(٢) سورة الشعراء، الآيات: ٢١٧ ـ ٢٢٠.

بذُنُوب عِبَاده خَبِيراً ۞ الَّذي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا في سِتَّة أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيراً﴾ (١) .

فإذا عرف العبد ربه بصفاته ، فعرف أنه الحي الذي لا يموت فيكفي من توكل عليه ولا يغفل عنه سبحانه وتعالىٰ ، وهو الذي خلق السموات والأرض فهو علىٰ كل شيء قدير ، وهو سبحانه وتعالىٰ الذي استوىٰ علىٰ العرش يدبر الأمر ، أثمر ذلك صحة توكله علىٰ الله عز وجل .

(١) سورة الفرقان ، الآيتان : ٥٨ ، ٥٩ .

الحذر من فتنة الدنيا

جعل الله عز وجل ما على الأرض زينة لها ، ليبلو العباد أيهم أحسن عملاً . وقد اقتضت حكمة الله عز وجل أن يهبط آدم وزوجه إلى الأرض ، وأن يخلق الجنة والنار ، فحفت الجنة بالمكاره ، وحفت النار بالشهوات ، ابتلاء واختباراً ليظهر من يؤثر رضا الله وطاعته ، ويوقن بوعده ، ويستجيب لأمره ، ويشمر للغاية التي أمامه ، ومن يتبع شهواته ، ويؤثر رغباته ، ويستجيب لتسويل الشيطان ، ويستسلم للنفس الأمَّارة بالسوء .

وما أكثر ما تتعلق النفوس بالدنيا ، جمعاً للمال ، وتكديساً للباس ، وتنويعاً للحلي ، وتباهياً بالأثاث ، إلى غير ذلك من الأمور التي أباحها الله لعباده ، وامتن عليهم بها ، لكنه حذّر من الافتتان بها ، والانكباب عليها والانهماك

فيها. قال الله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ * إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾(1).

لذا ينبغي للمرأة المسلمة العاقلة أن تعلم أن الدنيا ممر وليست دار مقر، وأن هذه الحياة وسيلة وليست غاية، فتستمتع بطيبات ما أحل الله لها، وتطلب المال من حله وتصرفه في حقه، وتحذر أن يمتلئ قلبها بحب الدنيا فتزاحم محبتها محبة الله سبحانه، عليها أن تحذر وتجاهد نفسها عن التعلق بالدنيا وعن مجاراة من حولها إذا رأتهم يتنافسون فيها.

ولعل مما يعين على ذلك:

١ ـ معرفة حقيقة الدنيا، قال الله عز وجل: ﴿اعْلَمُوا

(1) سورة فاطر، الآيتان: ٥، ٦.

أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الأَمْوَالِ وَالأَوْلادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾ (١) . وقال رسول الله ﷺ : «**ما الدنيا في الآخرة إلا مثل ما يجعل أحدكم أصبعه في اليم، فلينظر بم يرجع**»(٢) .

٢ ـ العمل بوصية النبي ﷺ في قوله : «**أكثروا ذكر هاذم اللذات : الموت**» (٣) .

٣ ـ النظر إلى من فضلك الله عليه في أمور الدنيا ، قال رسول الله ﷺ : «**انظروا إلى من هو أسفل منكم، ولا تنظروا إلى من هو فوقكم، فهو أجدر أن لا تزدروا نعمة الله**

---

(١) سورة الحديد ، الآية : ٢٠ .

(٢) رواه مسلم .

(٣) قال في صحيح الجامع : صحيح رواه الترمذي والنسائي وابن ماجه وغيرهم .

عليكم»[1] .

٤ ـ مجالسة من يُنتفع بمجالستهم ، وهم الذين يذكّرون بالله ويعينون على طاعته .

٥ ـ المحافظة على الفرائض والنوافل وكثرة تلاوة القرآن وذكر الله ، وقراءةالكتب وسماع الأشرطة النافعة .

٦ ـ سؤال الله وعز وجل العصمة من فتنة الدنيا ولا سيما بالأدعية الواردة عن النبي ﷺ ، مثل : «**اللهم إني أعوذ بك من البخل وأعوذ بك من الجبن وأعوذ بك أن أرد إلى أرذل العمر، وأعوذ بك من فتنة الدنيا وأعوذ بك من عذاب القبر**»[2]. ومثل : «**اللهم اقسم لنا من اليقين ما تهون به علينا مصائب الدنيا**»[3] ، ومثل : « **اللهم لا تجعل الدنيا أكبر همنا ولامبلغ علمنا**»[4] .

---

(١) رواه مسلم .

(٢) رواه البخاري .

(٣) ، (٤) جزء من حديث رواه الترمذي ، وقال : حديث حسن .

فتنة المال

وهي من فتنة الدنيا ، لكن ما أعظمها من فتنة ، وأقل من ينجح في امتحانها ، وفي الحديث عن النبي ﷺ : «**إن لكل أمة فتنة ، وفتنة أمتي في المال**»[1] .

ونحن في مجتمعنا نشهد ولله الحمد في أوساط النساء من جاهدن أنفسهن بالتقرب إلى الله عز وجل بأموالهن . فانظري إلى تلك المجموعة من الزميلات اللاتي اتفقن على تخصيص جزء من رواتبهن يصرف في كفالة الأيتام ومواساة المساكين ، وانظري إلى أخريات يدعمن بأموالهن مشاريع خيرية يستفيد منها المسلمون ، القريبون والبعيدون ، فانظري إلى ذلك البئر الذي يستقي منه مئات من الناس كانوا عطاشاً، واغبطي من تبرع بحفره ، بل انظري إلى ذلك الداعية في

(١) رواه الترمذي ، وقال : حديث حسن صحيح .

إحدى بقاع المعمورة الذي يجوب الأحياء والقرى والمدن داعية إلى التوحيد ومحذراً من الشرك والبدع ومكافحاً جهود المفسدين من المنصرين وغيرهم الذي يسعون لإضلال إخوانك وأخواتك هناك ، من أين يقتات؟ وكيف يعول أسرته؟ ومن الذي أتاح له التفرغ للدعوة إلى الله ؟ إن (. . .) قد تكفلت بمرتبه . فيا سعد من وفق إلى الخير .

ومع هذه الومضات المضيئة إلا أن الكثيرات يخفقن فلا يقمن بشكر هذه النعمة . ولعلي هنا أورد رسالة وصلتني من إحدى الأخوات ، تقول فيها : (قد مَنَّ الله سبحانه على كثيرمن نساء مجتمعنا برواتب جيدة تجري عليهن كل شهر ، ولكن للأسف الشديد كيف كان تعامل الكثيرات تجاه تلك المادة الحيوية التي هي بحق شريان في الحياة ؟

في الغالب لا تعدو أن تكون الخطوة الأولى بعد تسلمه الذهاب إلى السوق وتنعيم النفس ، مستندة في ذلك إلى

حديث : «**إن الله تعالى يحب أن يرى أثر نعمته على عبده**»[1]، أو أن تبرر لنفسها بأنها ما دامت تتسلم راتباً يجري كل شهر فما الضرر من اقتطاع ألف ريال أو أكثر كل شهر على أشياء كمالية تؤخذ من السوق ؟!!

وفي اعتقادي أنه ما كثرت الأسواق بهذا العدد العجيب، وما انتشرت المطاعم ومراكز إرسال الوجبات إلى المنازل ، إلا من «دعم» تلك الفئة من النساء .

وأنا أقر أن هذا المال حق لهن ، ولكن من باب المحبة والإشفاق والنصح الذي تعبدنا الله به أسلط الضوء على هذه الظاهرة :

أليس من المحزن أن تخرج المرأة من بيتها كل صباح ، تاركة أفلاذ كبدها الصغار بين يدي امرأة الله أعلم ماذا تعمل بهم ، وهذا سعياً لتحصيل المال ، ثم إذا حصلته كان هذا التبديد وعدم

(١) قال في صحيح الجامع : حديث حسن رواه الترمذي والحاكم عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما .

قدر النعمة قدرها . ثم من يضمن لهؤلاء أن النعمة ستدوم ؟!)

ثم تدعو إلى حسن الإنفاق فتقول : «فلتسع إلى الاقتصاد في الإنفاق ، وتربية نفسها على ذلك ، ولتضع نصب عينيها أن المال نافد وهالك ، ولا يبقى منه إلا ما تقربت به إلى الله عز وجل . وهذا سبب ؛ لأن يبارك لها فيما أبقت» .

ثم تورد اقتراحاً : [بأن يُنشأ صندوق خيري في كل مدرسة أو مركز عمل نسائي يخصص له جزء من الراتب ، ثم يصرف في المصارف المناسبة ، فكم من مشاريع جمدت وفيها النفع العظيم وما ذلك إلا لقلة التمويل أو انقطاعه ، وكم من شاب لم يتزوج ونفسه تتقطع حسرات ، والسبب قلة ذات يده ، وكم من أناس يعيشون المرض والبؤس للسبب نفسه ، وكم من إنسان يمكن إنقاذه من الكفر وإدخاله في الإسلام بتأليف قلبه بشيء يسير من المال ، وكم من حلقات علم كانت منارة مضيئة على من حولها توقفت لانقطاع المدد» . انتهى

كلامها .

وتأييداً لما تقدم ، أذكّر بقول النبي ﷺ : «**لا تزول قدما ابن آدم يوم القيامة من عند ربه حتى يُسأل عن خمس: عن عمره فيم أفناه ، وعن شبابه فيم أبلاه ، وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه ، وماذا عمل فيما علم**»(١) .

(١) قال صحيح الجامع : حديث حسن رواه الترمذي عن ابن مسعود رضي الله عنه .

حفظ اللسان

إن اللسان من أعظم نعم الله على الإنسان في خلقه ، وهو عظيم النفع إن استعمل فيما يحب الله من الكلام ، عظيم الضرر إن استعمل في ضد ذلك .

فالواجب على المسلم والمسلمة أن يحفظ لسانه إلا عن الخير ، كما قال رسول الله ﷺ : «**من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت**»[1] .

وحفظ اللسان هو ملاك أمر الإنسان ، كما قال ﷺ لمعاذ رضي الله عنه : «**ألا أخبرك بملاك ذلك كله**» ، قال : بلى يا رسول الله ، فأخذ بلسانه فقال : «**كف عليك هذا**» . قال : يا رسول الله : وإنا لمؤاخذون بما نتكلم به ؟ فقال : «**ثكلتك أمك وهل يكب الناس في النار على وجوههم إلا**

(١) متفق عليه .

حصائد ألسنتهم »[1] .

إذن ، فمن الخطر العظيم ما يقع فيه كثير من الناس من إطلاق ألسنتهم والتهاون بالكلام غافلين عن أنه يحصى عليهم ما تتلفظ به ألسنتهم ويسألون عنه ، قال تعالى : ﴿مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾[2] ، وقد سُئل رسول الله ﷺ عن أكثر ما يدخل الناس النار ، فقال : «الفم والفرج»[3] . ومن تدبَّر هذا الحديث ونحوه من النصوص الواردة في لكتاب والسنة ، عرف حقيقة اللسان وخطره . فإن اللسان لا يَكَلُّ كما تَكَلّ سائر الأعضاء ، ثم إن المعاصي التي تكون باللسان كثيرة ، منها الغيبة والنميمة ، وقول الزور ، والسخرية بالمسلمين ، والكذب في الحديث ـ وأعظمه الكذب على الله عز وجل ورسوله ﷺ ـ .

---

(١) رواه الترمذي ، وقال : حديث حسن صحيح .

(٢) سورة ق ، الآية : ١٨ .

(٣) رواه الترمذي، وقال : حديث حسن صحيح .

وأكثر هذه الذنوب انتشاراً بين العامة والخاصة وبين الرجال والنساء : الغيبة التي فسرها النبي ﷺ بقوله : «**ذكرك أخاك بما يكره**»[1] ، ومع ذلك قد يتعرض المتكلم في مجلس واحد لعدد من الناس فيذكرهم بما يكرهون ، وإذا نصح قال : «**والله إني لم أزد عليهم شيئاً فكل ما قلت هو فيهم**» . وهذا جهل ، فما صدر منه هو الغيبة بعينها . فقد سُئل النبي ﷺ فقيل له : أفرأيت إن كان في أخي ما أقول ؟ قال : «**إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته ، وإن لم يكن فيه ما تقول فقد بهته**»[1] .

ومن خطورة الغيبة أن من اغتاب فإن إثم غيبته لا يقتصر عليه ، بل يشمل من سمعه فلم ينكر عليه ، فيكونون شركاء له في الغيبة . وفي قصة ماعز رضي الله عنه أنه بعد ما رجم سمع النبي ﷺ رجلين يقول أحدهما لصاحبه : ألم تر إلى هذا الذي ستر الله عليه فلم تدعه نفسه حتى رُجِم رَجْم الكلب . ثم سار النبي ﷺ حتى مر بجيفة حمار ، فقال : «**أين**

(1) رواه مسلم .

فلان وفلان؟ انزلا فكلا من جيفة هذا الحمار» . قالا : غفر الله لك يا رسول الله وهل يؤكل هذا ؟ قال ﷺ : «فما نلتما من أخيكما آنفاً أشد أكلاً منه ، والذي نفسي بيده إنه الآن لفي أنهار الجنة ينغمس فيها »[1] .

وقد يجمع بعض الناس مع الغيبة السب والشتم بغير حق ، وقد قال ﷺ : «سباب المسلم فسوق وقتاله كفر»[2] . وهذا كله من مظالم العباد التي إن لم يتب منها فإن التقاضي يوم القيامة يكون بالحسنات ، قال رسول الله ﷺ : «أتدرون ما المفلس؟» قالوا : المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع . فقال : «المفلس من أمتي من يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة ، ويأتي وقد شتم هذا ، وقذف هذا ، وأكل مال هذا ، وسفك دم هذا ، وضرب هذا ، فيعطى هذا من حسناته وهذا من حسناته فإن فنيت حسناته قبل أن يقضى ما عليه أخذ من

(١) ذكره ابن كثير ـ رحمه الله ـ في تفسيره عن أبي يعلى وقال : إسناده صحيح (٤/ ٢١٦).

(٢) متفق عليه .

خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح في النار»[1] .

ومن أخطر جنايات اللسان : النميمة ، وهي نقل الحديث بين الناس على جهة الإفساد . مما يؤدي إلى فساد ذات البين وتفريق القلوب وزرع العداوات . فكم من كلمة هدمت بيتاً ، وشتت أسرة ، وفرقت بين متحابين ، بل وأوقدت حرباً وأججت فتناً . قال رسول الله ﷺ : «**لا يدخل الجنة نمام**»[2] .

وحفظ اللسان سبب لدخول الجنة ، قال رسول الله ﷺ : «**من يضمن لي ما بين لحييه**[3] **وما بين رجليه أضمن له الجنة**»[4] .

---

(١) رواه مسلم .

(٢) متفق عليه .

(٣) قال ابن حجر : [اللحيان : هما العظمان في جانبي الفم، والمراد بما بينهما : اللسان وما يتأتى به النطق، وبما بين الرجلين : الفرج . دلّ الحديث على عظم خطر اللسان والفرج ، فمن وقي شرهما وقي أعظم الشر]. انتهى . فتح الباري ١١ / ٣٠٩ .

(٤) متفق عليه .

ولو لم يكن في كثرة الكلام إلا أنه سبب لقسوة القلب لكان كافياً . عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : **«لا تكثروا الكلام بغير ذكر الله ، فإن كثرة الكلام بغير ذكر الله قسوة للقلب ، وإن أبعد الناس من الله القلب القاسي»**[1] .

أيتها المسلمة :

اعلمي أن الأمر كما روي عن عمر رضي الله عنه : (من كثر كلامه كثر سقطه ، ومن كثر سقطه كثرت ذنوبه ، ومن كثرت ذنوبه كانت النار أولى به) .

فيا أمة الله :

احفظي دينك ، ووفري حسناتك ، وكفّي لسانك إلا عن الخير . قال رسول الله ﷺ : **«من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت»**[2] .

---

(١) رواه الترمذي .

(٢) متفق عليه .

حفظ السمع والبصر

من نعم الله عز وجل التي امتنَّ بها على عباده نعمتا السمع والبصر ، قال تعالى : ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾[1] . وهما كغيرهما من النعم التي يبتلي الله بها عباده ، هل يشكرون أو يكفرون؟ . قال تعالى : ﴿إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ۞ إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾[1] . فمن شكر فإنما يشكر لنفسه، ومن يكفر فإن الله غني حميد . والشاكر موعود بالزيادة ، ومن كفر نعم الله فهو متوعد بعذاب شديد ، قال الله عز وجل : ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾[1] .

(١) سورة النحل ، الآية : ٧٨ .
(٢) سورة الإنسان ، الآيتان : ٢ ، ٣ .
(٣) سورة إبراهيم ، الآية : ٧ .

والشكر له أركان :

الاعتراف بالنعمة ، ونسبتها إلى المنعم المتفضل سبحانه ، واستعمالها فيما يُحب المُنعِم . ومن شكر نعمتي السمع والبصر استعمالهما فيما يحب الله ، من سماع القرآن وسماع الذكر والنظر في آيات الله وحفظهما عما حرَّم الله من النظر والسماع ، والعبد مسئول عن ذلك كله ، قال الله عز وجل : ﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً﴾(١) .

أما **البصر** : فقد أمر الله تعالى المؤمنين والمؤمنات بغض أبصارهم . قال الله تعالى : ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ۞ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلاَّ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلاَّ لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ

(١) سورة الإسراء ، الآية : ٣٦ .

بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَىٰ عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[1] .

فيجب على المسلمة أن تغض بصرها عن النظر إلى الرجال الأجانب بشهوة . وانظري إلى أهمية غض البصر كيف قُدم الأمر به على الأمر بحفظ الفرج ، وهذا والله أعلم ؛ لأن الأول وسيلة لحصول الثاني ، فغض البصر من أهم أسباب العفاف .

هذا ولغض البصر من الفوائد والمنافع الشيء العظيم، فمن ذلك :

١ ـ أنه امتثال لأمر الله عز وجل ، وليس للعبد في دنياه وأخراه أنفع من امتثال أوامر ربه تبارك وتعالى ، وما سعد من

(١) سورة النور ، الآية : ٣٠ ، ٣١ .

سعد في الدنيا والآخرة إلا بامتثال أوامره، وما شقي من شقي في الدنيا والآخرة إلا بتضييع أوامره .

٢ ـ أنه يورث القلب محبة الله والأنس به ، كما أن إطلاق البصر يوقع الوحشة بين العبد وربه .

٣ ـ أنه يكسب القلب نوراً وإشراقاً ، وكلما قوي هذا النور وتم ظهر في العين وفي الوجه . ومن أثر هذا هذا النور : التمييز بين الحق والباطل ، والضار والنافع ، والعدو والصديق .

٤ ـ أنه يورث القلب سروراً وفرحاً وانشراحاً أعظم من اللذة الحاصلة بالنظر . فإن من ترك شيئاً لله عوضه الله خيراً منه . قال أحد الصالحين : **«والله للذة العفة أعظم من لذة الذنب»** . فلذة المعصية ساعة ثم يعقبها القلق والكآبة والعذاب إلى قيام الساعة (إن لم يتب) ، ولذة الطاعة دائمة إلى قيام الساعة . وفي الحديث الذي يروى عن النبي ﷺ عن ربه عز وجل : **«النظرة سهم مسموم من سهام إبليس ، من**

تركها من مخافتي أبدلته إيماناً، يجد حلاوته في قلبه»(١)

٥ ـ أنه يقطع الطريق على الشيطان ، فإن النظر من أخطر الثغرات التي ينفذ منها الشيطان إلى القلب .

٦ ـ أنه يسد عن العبد باباً من من أبواب العذاب والعناء والقلق، فإن المرء حينما يطلق بصره إنما يفعل ذلك بحثاً عن المتعة، لكنه لما لم يجدها مَنَّته نفسه أن المتعة في خطوة أخرى (كالابتسامة مثلاً) ، لكنه لما لم يجدها أيضاً ـ أو وجدها على خلاف ما أمّل ـ منَّاه شيطانه ونفسه الأمّارة بالسوء أنها في الخطوة التالية . ولا يزال على هذه الحال في عناء وقلق كمن يلاحق ظله ، كلما تقدم إليه ابتعد عنه ، فيصبح أسير شهوته، والأسير حقاً من أسره هواه وشهوته . ومع هذا فهو ينحدر من معصية إلى معصية ، حتى قد لاينتهي به الحال إلا بمواقعة الكبائر والفواحش.

---

(١) رواه الطبراني والحاكم .

٧ ـ ذلك غير ما فيه من الفوائد الصحية البدنية والنفسية ، ففي بحث طبي أعده الدكتور صادق محمد جاء فيه : [ثبت بالدراسة والبحث العلمي أن تكرار النظر بِشَرَهٍ للجنس الآخر يصل بالشخص إلى إصابة جهازه التناسلي بأمراض احتقان غدة البروستاتا والضعف الجنسي ، وبالتحليل النفسي لهذا الإنسان وجد أنه يتعرض لأزمات نفسية واكتئات وتغير في سلوكه وشخصيته] وأشار الباحث إلى أن حاسة النظر تعتبر أقوى وأخطر الحواس من ناحية الإثارة الجنسية[١] .

فيا أيتها المسلمة:

اتقي الله وامتثلي أمره ، وغضي بصرك عما حرم الله، ومن ذلك النظر إلى الرجال من خلال شاشة التلفاز ولا سيما

(١) يُراجع : الجواب الكافي لابن القيم ـ رحمه الله ـ ص ٤٢٤ حتى ص٤٢٩ . ط . دار ابن خزيمة .

المسلسلات الجنسية ، فإن فيها إثارة للجنسين الرجال والنساء . فاحذري أيتها المسلمة أن تطلقي بصرك في هذه المواد الآثمة التي تفسد العفة والكرامة وتجذب إلى العلاقات المحرمة . وليكن لك من إيمانك وازع عما حرم الله عليك ، فإن الإيمان أقوى ما يحول بين العبد وبين العصيان ، ولهذا وجه الله الخطاب للمؤمنين والمؤمنات : ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ الآية ، ﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ﴾ الآية[1] .

وأما السمع : فمن السماع المحرم : **الغناء** . وقد وردت نصوص كثيرة صحيحة صريحة في تحريمه وفي التحذير منه وبيان آفاته ، في القرآن والسنة وفي كلام الصحابة والتابعين .

قال الله عز وجل : ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ

(١) سورة النور ، الآيتان : ٣٠ ، ٣١ .

مُهِينٌ﴾ (١) . وقد فسَّر عدد من الصحابة والتابعين لهو الحديث بأنه الغناء ، روي ذلك عن عبد الله بن مسعود ، وعبد الله بن عباس ، وعبد الله بن عمر رضي الله عنهم .

وفي الحديث عن النبي ﷺ قال : «**ليكونن في أمتي أقوام يستحلون الحِر والحرير والخمر والمعازف**»(٢) . والعزف : الغناء واللعب بآلاته ، والمعازف آلات الغناء . قال في القاموس : «المعازف الملاهي ، كالعود والطنبور . والعازف : اللاعب بها والمغني» .

قال الضحاك بن مزاحم ـ رحمه الله : «الغناء مفسدة للقلب مسخطة للرب» .

وقال ابن القيم ـ رحمه الله ـ : «لا تجد أحداً عني بالغناء وسماع آلاته إلا وفيه ضلال عن طريق الهدىٰ علماً وعملاً ، وفيه إعراض عن استماع القرآن إلى استماع الغناء،

(١) سورة لقمان ، الآية : ٦ .

(٢) رواه البخاري .

بحيث إذا عرض له سماع الغناء وسماع القرآن عدل عن هذا إلى ذاك ، وثقل عليه سماع القرآن ، وربما حمله الحال على أن يسكت القارئ ويستطيل قراءته ، ويستزيد المغني ويستقصر وقته» .

وقال : «والذي شاهدناه نحن وغيرنا وعرفناه بالتجارب أنه ما ظهرت المعازف وآلات اللهو في قوم وفشت فيهم واشتغلوا بها إلا سلط الله عليهم العدو ، وبلوا بالقحط والجدب وولاة السوء»[1] .

هذا وقد اتفق الأئمة والعلماء المعتبرون من الحنفية والمالكية والشافعية والحنابلة على تحريمه .

قال العلامة ابن القيم ـ رحمه الله ـ : «أما الإمام مالك رحمه الله فإنه لما سئل عن الغناء قال : (إنَّما يفعله عندنا الفساق) . وأما أصحاب أبي حنيفة ـ رحمه الله ـ فقد صرحوا

(١) مدارج السالكين (١/ ٥٠٠) .

بتحريم سماع الملاهي كلها ، وأما الإمام الشافعي ـ رحمه الله ـ وأصحابه فهم أغلظ الناس قولاً في ذلك ، وأما الإمام أحمد ـ رحمه الله ـ فإنه لما سئل عن الغناء قال : (الغناء ينبت النفاق في القلب) »[1] .

[ووجه كونه منبتاً للنفاق في القلب : أنه يلهي القلب ويصده عن فهم القرآن وتدبره والعمل بما فيه ، فإن القرآن والغناء لا يجتمعان في القلب أبداً ، لما بينهما من التضاد ، فإن القرآن ينهىٰ عن الهوىٰ ، ويأمر بالعفة ومجانبة شهوات النفس وأسباب الغي ، وينهىٰ عن اتباع خطوات الشيطان . والغناء يأمر بضد ذلك ويحسنه ، ويهيج النفوس إلىٰ شهوات الغي ، فيثير كامنها ، ويحركها إلىٰ كل قبيح].

أيتها المسلمة الشريفة :

هذا كلام أئمة الإسلام الناصحين ، وأعيذك بالله أن

(١) إغاثة الهفان «باختصار» وأكثر النقول في هذه المسألة منه . راجع الكتاب (١/ ٢٢١ـ٢٦٨) .

تكوني كمن قال فيهم نبيهم : ﴿وَلَكِن لاَّ تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ﴾[1] .

هذا ، وإن من أضراره : أنه يحرك الشهوة المحرمة .

قال يزيد بن الوليد : [يا بني أمية : إياكم والغناء فإنه ينقص الحياء ، ويزيد في الشهوة ، ويهدم المروءة ، وإنه لينوب عن الخمر ، ويفعل ما يفعل السكر ، فإن كنتم لا بد فاعلين فجنبوه النساء ، فإن الغناء داعية الزنى] .

ومن المشاهد أن كثيراً من الفساق حينما يتعرضون للنساء يجتهدون في إسماعهن صوت أغنية ، أو يحرصون على رمي شريط فيه غناء .

فيا من تؤمن بالله واليوم الآخر :

اتقي الله ، وامتثلي أمره ، واعلمي أن السعادة تنال بامتثال أمر الله واجتناب نهيه . وخذي عبرة من أولئك الناس الذين إذا نصحوا وذكروا بتحريم الغناء اعتذروا بأنهم يريدون

(١) سورة الأعراف ، الآية : ٧٩ .

أن يمتعوا نفوسهم ويروحوا عن قلوبهم ، فانظري ماذا كانت النتيجة ؟

قلق هذه النفس التي أرادوا تمتيعها ، وكثرة الهموم والأوهام والاكتئاب ، وتوتر العلاقات الأسرية ، وغير ذلك مما هو نتيجة طبيعية لمن طلب الأمور من غير طريقها المشروع. قال الله عز وجل : ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ الْعَذَابِ الأَدْنَىٰ دُونَ الْعَذَابِ الأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ (١) .

فكما أن رزق الله لا يطلب بمعصيته ، فكذلك السعادة لا تطلب بالأفعال المحرمة .

إن السعادة من الله يهبها لمن يشاء ، والسبيل الوحيد لنيلها هو ما بينه الله عز وجل في كتابه : ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً﴾(٢) الآية ، هذان هما سببا نيل السعادة : الإيمان ، والعمل الصالح .

---

(١) سورة السجدة ، الآية : ٢١ .

(٢) سورة النحل ، الآية : ٩٧ .

الحذر من خطوات الشيطان

قال الله عز وجل : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ﴾(١) .

وخطوات الشيطان هي : طرقه التي يدعو إليها ، ويدخل فيها جميع المعاصي المتعلقة بالقلب واللسان والبدن. والفحشاء ما عظم قبحه من الذنوب (٢) .

ومن خطوات الشيطان : ما تقدم في الباب الماضي **(حفظ السمع والبصر)** .

ومن خطوات الشيطان : ما يسمى بالمعاكسات ، وهي

---

(١) سورة النور ، الآية : ٢١ .

(٢) انظر : تيسير الكريم الرحمن ، للشيخ عبد الرحمن السعدي رحمه الله (٩٩/١) ، (٤٠١/٥) .

المحادثات الهاتفية الجنسية التي تكون بين الرجال والنساء الأجانب. وهذه المحادثة والاتصال طريق بل من أقرب الطرق إلى الوقوع في الفاحشة، وباب هو من أوسع الأبواب للدخول في عالم الخبيثين والخبيثات. فكم من عفيفة دخلته فودعت بذلك حياءها وأخلاقها، وكم من عذراء طرقته باسمه فخرجت منه ثيباً باكية. وكمن «صياد» ماكر جعله طعماً يخفي وراءه مأربه وأطماعه.

وبداياته قد تتعدد، لكن حقيقته ونهايته واحدة.. فأحياناً تكون بدايته إغراءً من جليسة سوء: خذي هذا الرقم وجربي، ولن يضرك شيء. وأحياناً تسويل من النفس: أكلّم مجرد «وناسة» وتمضية للوقت فقط. وأحياناً «غيرة» حينما تسمع من حولها من جليسات السوء يحكين ما قلن وما قيل لهن، فتقول في نفسها: وهل أنا أقصر عنهن في جمال أو حسن جواب. فيستفزها الشيطان لتثبت «تفوقها» على غيرها، فتلقي بيدها إلى التهلكة.

وفي هذه الحالات كلها ، وفي غيرها إنما هي مكيدة من العدو ، فأخذ ينحط بها (وبه) دركات حتى يصل بهما إلى حيث خطط لهما من إيقاعهما في الفواحش والموبقات ، ولو لم يكونا قد قصدا ذلك قصداً في بداية الطريق . فالمنحرفون والمنحرفات ما ولدوا منحرفين ، وإنَّما بدأ انحرافهم ـ غالباً ـ بأعمال يسيرة ومعاصٍ صغيرة ، منها انطلقوا ـ أو انطلق بهم الشيطان ـ في مسيرة الانحراف ، فكانت نهايتها الفواحش والمنكرات .

ولذا فقد حذرنا ربنا عز وجل من ذلك وبصّرنا بهذه المكيدة كما في الآية المتقدمة في قوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ﴾ (١) .

والعجيب أن من الفتيات من قد تسمع بمن سلكت هذا المسلك والمآل الذي آلت إليه ، والفضيحة التي وقعت عليها ،

(١) سورة النور ، الآية : ٢١ .

والندامة التي قطّعتها حسرات ، بعد أن انقشعت سحابة الأحلام وتبددت تلك «الوعود» ، ثم . . لا تعتبر . إما بحجة أن «صاحبها» يختلف عن الآخرين فهو شاب صادق ورجل شريف ، وهو جاد في وعوده . أو تقنع نفسها بأنها هي التي تضحك عليه و«تلعب في عقله » ، والأمر في يدها، فمتىٰ شاءت أن تقطع هذه العلاقة قطعتها وأنهت أمرها . او تأخذها الثقة بنفسها بأنه لو فرض أنه دبر لها مكيدة فلديها من الذكاء والنباهة ما تخلص به نفسها .

وكل هذه نظرات ساذجة ، فهذا الذي تظنه شريفاً، صادقاً في وعوده ، جاداً في كلامه ، ماذا عندها من البراهين علىٰ ذلك ؟! لا شيء اللهم إلا لباقته في الحديث ، وبراعته في الكلام ، ونجاحه في خداع أمثالها . ولتثق بأنه حالما ينهي مكالمته معها فإنه يتصل بأخرىٰ ، ويعطيها من الكلام المعسول مثلما تلك ، ويبث من «الأشواق الصادقة » مثلما بث لها .

كيف تصدقين أنه جاد في الاقتران بك ؟ ، هل يثق فيك ويرضى بك شريكة حياته وراعية أسرته ؟ كيف يثق ويطمئن إليك وهو يتذكر بداية العلاقة بينكما ؟! وكذلك تلك التي تظن أن تلك المعاكسات مجرد «فسحة» متى ما شاءت عادت سالمة غانمة . الواقع يثبت عكس ذلك . فكثير من المعاكسين قد برعوا في هذا العمل ، وتفننوا في «تضبيط» أمورهم و«مسك» الإدانات «عليهن» ، حتى إن فكرت مرة من المرات في عصيان أوامره أو التملص من «طلباته» وإذا هو يشهر في وجهها سلاح «الصور» و«الأشرطة» وغيرهما من الإدانات التي كان قد ضبطها عليها دون أن تشعر . وكم من نهايات أليمة انتهت إليها كثير من الفتيات المسكينات . حتى إن منهن من أردن التوبة والإقلاع عن هذا المسلك المشين وما جر إليه ، لكن «الصياد» كان ماهراً في تكبيل فريسته . حدثني أحد «المصلحين» أحسبه هكذا والله حسيبه عن فتاة اتصلت عليه تطلب منه حلاً تتخلص به من رجل كانت لها به علاقة توقفت

قبل ثلاث سنوات ، وتقول إنها قد قطعت علاقتها به ، لكنه ما زال يهددها بما عنده عليها ، علماً أنه متزوج وله أولاد . بل غالباً ما يعز على ذلك «الذئب» أن يفرط في فريسته ويتنازل عنها حتى لو تزوجت ، كيف لا والحبل في يده يسحبها متى ما شاء وكيفما شاء . كانت إحدى الفتيات على علاقة مع شاب ، ثم تزوجت وسافرت مع زوجها لإكمال دراسته ، ثم عادت لتضع وإذا بذلك الرجل يتصل عليها ويهددها بأنها إن لم تستجب لرغباته فإنه سيفضحها أمام زوجها .

أيتها الفتاة النبيهة :

كل هذه المشكلات تفاديها سهل والوقاية منها هينة : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ﴾[1] .

---

(١) سورة النور ، الآية : ٢١ .

انحراف المحبة

يحصل أحياناً أن تنشأ «علاقة» بين فتى وفتاة . وهذه أقل ما يقال عنها إنها خطوة من خطوات الشيطان يستدرجها بها ليوقعها في الفواحش والموبقات .

ومن مكر الشيطان أنه أحياناً يضفي على هذه الأفعال ما يسوغها ، ككون هذه العلاقة نظيفة ومقصدها سام ، وغير ذلك من الأعذار التي لا تخرج عن كونها خداعاً من خداع النفس وحيلاً من حيل الشيطان . والنتيجة دائماً الندم ، وأحياناً مع هذا الندم يصعب استدراك الأمر وعلاجه ، وغالباً ما يسل الرجل نفسه وتبقى المرأة المسكينة . كنت في يوم من الأيام عند رئيس مركز من مراكز الهيئة فتلقى اتصالاً هاتفياً ، وإذا المتصل فتاة تشكو إليه مشكلتها وتلتمس منه الحل ، فقد كانت على علاقة مع شاب ، وتمادت هذه العلاقة وتطورت

حتى استلب منها أكثر ما تعتز به العذراء ، ثم لفظها كما يلفظ النوى . وتقول إنها تابت واستقامت ، لكن مشكلتها أنها قد خطبت وقد حان موعد زافافها ولم يبق عليه إلا أسبوعان فكيف تتصرف مع عريسها إذا دخل بها ؟

وقد يصل الأمر إلى أبعد مما سبق . . . حصل في أحد الأحياء أن فتى وفتاة تعرفا على بعض ، وسارت هذه المعرفة من خطوة إلى خطوة ، حتى وصلا إلى تحديد لقاء بينهما . وأين؟ في بيت الفتاة . وبأسلوب أو بآخر تم ذلك ، وتكرر هذا اللقاء . وكما أخبر من لا ينطق عن الهوى ﷺ : «**ألا لا يخلون رجل بامرأة إلا كان ثالثهما الشيطان**»(١) .

فأوقعها الشيطان فيما كان قد خطط لهما . وبعد أن وقعت الفتاة فيما وقعت فيه أخذت تفكر في مصيرها ومستقبلها ؟ لو تقدم لها خاطب فهل ستوافق ؟ كيف توافق والناس يظنونها بكراً وهي ليست كذلك ؟ لذا فقد قررت ألا

(١) رواه الإمام أحمد والترمذي .

تتزوج . وإذن ما دام أنها لن تتزوج وما دامت قد سارت في هذا الطريق فلتواصل سيرها فيه وليكن بعد ذلك ما يكون ، فقررت أن تهرب من بيتها ! ولكِ أن تتصوري أي مصير ينتظرها ، وأي عار جرته على نفسها ولوثت به أسرتها ومن تنتسب إليه ، وأي فاجعة أوقعتها بأمها وبأبيها . ثم ألا تعجبين بل تتألمين لنهايةٍ وصلت إليها فتاة كانت صبية برئية وبرعماً متفتحاً وزهرة ندية !

لكن لا عجب . . هي خطوات الشيطان .

التعلّق

من الانحرافات الواقعة في المحبة : ما يعرف بالتعلق، وهو عبارة عن محبة طبيعية أو دينية خالطها شهوة وهوىٰ. والمقصود به هنا تعلق فتاة بأخرىٰ . وهو ليس كما قد يتبادر إلىٰ بعض الأذهان أن أمره أيسر . لا بل أمر خطير ، وعواقبه وخيمة، وآثاره قبيحة ، وقد تترتب عليه نتائج خطيرة من فعل الموبقات وترك الواجبات ، بل القدح في التوحيد .

وليكن معلوماً أن نشوء علاقات الغرام والحب المنحرف إنَّما تنشأ من نقص في محبة الله ولا بد . فحيثما رأيت من عشق فاعلمي أن هذا أثر من آثار ضعف محبته لربه عز وجل، فمن أحب الله ورسوله ﷺ محبة صادقة من قلبه أنتج ذلك له أن يحب ما يحبه الله ورسوله ﷺ، ويكره ما يكرهه الله ورسوله، فيرضىٰ ما يرضىٰ به الله ورسوله ﷺ ، ويسخط ما

يسخط الله ورسوله ، ويعمل بمقتضى هذا الحب والبغض .
فإن عمل شيئاً يخالف ذلك دلَّ على نقص محبته الواجبة .
[فجميع المعاصي تنشأ من تقديم هوى النفس على محبة الله ورسوله ﷺ][1] .

ومن المتعين توضيح لبس تقع فيه بعض «المتعلقات» ، حيث تزعم أن فعلها هذا حب في الله . وسبحان الله ، ما أبعد ما بين التعلق الذي هو عشق وهوى للنفس وتسويل من الشيطان ، والحب في الله الذي هو واجب من واجبات الدين وعروة هي أوثق عرى الإيمان .

إن الحب في الله معناه : أن المرء قد خالف هوى نفسه ، فسخَّر محبته فجعلها تابعة لمحبة الله عز وجل ، فما أحبه الله عز وجل من الأشخاص والأعمال والأزمنة والأمكنة أحبه ، وما أبغضه الله عز وجل من الأشخاص والأعمال والأمكنة أبغضه . وهذه حال تحتاج إلى مجاهدة للنفس ، وترويض

(1) يراجع : فتح المجيد ص ٤٠٩ ، ط . دار الفكر .

لها ، ومتابعة ومحاسبة دائبتين .

إن محبة الله عز وجل شأنها عظيم ، إن إخلاصها لله وحده هو أصل التوحيد وروحه ، وهي أصل التعبد لله ، بل هي حقيقة العبادة . ومتى تمكنت المحبة في القلب لم تنبعث الجوارح إلا إلى طاعة الرب .

وهذا الحب هو غاية صلاح العبد ونعيمه وقرة عينه . وماذا حصّل من سعادة الدنيا من فاتته هذه السعادة . وليس للقلب صلاح ولا نعيم إلا بأن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما . قال رسول الله ﷺ : «**ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان : أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله ، وأن يكره أن يعود في الكفر بعد إذ أنقذه الله منه كما يكره أن يلقى في النار**»[1] .

(١) رواه البخاري ومسلم ، ويُراجع في هذا الموضوع : فتح المجيد للشيخ عبد الرحمن بن حسن ، والقول السديد للشيخ عبد الرحمن السعدي ، ومدارج السالكين لابن القيم ، وكلمة الإخلاص ، واستنشاق نسيم الأنس وكلاهما لابن رجب .

ولنا في قصص النبيين والصالحين أسوة ، حيث كملوا محبة الله عز وجل وصبروا على ما نالهم من أذى ، فأخرجوا من ديارهم وقتلوا وحرقوا إيثاراً لمحبة الله عز وجل . وفي المقابل لنا عبرة فيمن صرفوا شيئاً من محبتهم لغير الله كيف عذبوا بمن أحبوه من أشخاص أو أشياء في الدنيا قبل عذاب الآخرة . قال الله تعالى : ﴿إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوُا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الأَسْبَابُ﴾ (١) .

والأسباب التي تقطعت هي ما كان بينهم من محبة ومودة (٢) ، فقد اضمحلت وزالت وتقطعت أحوج ما كانوا إليها . بل إن تلك المحبة الشديدة تنقلب إلى عداوة ؛ لأنها لم تكن في الله . قال الله عز وجل : ﴿الأَخِلاَّءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلاَّ الْمُتَّقِينَ﴾ (٣) . فخذي حذرك يا أمة الله .

---

(١) سورة البقرة ، الآية : ١٦٦ .

(٢) هذا التفسير مروي عن ابن عباس رضي الله عنهما .

(٣) سورة الزخرف ، الآية : ٦٧ .

وقد ذكر أهل العلم أسباباً تقوي محبة العبد لربه عزوجل، فمنها :

١ ـ معرفة أسماء الله الحسنى الواردة في الكتاب والسنة، والحرص على فهم معانيها، والتعبد لله بها، فإن النفوس جبلت على حب الكمال، والله عز وجل له غاية الجلال والكمال والجمال .

٢ ـ الحرص على الفرائض والاستكثار من النوافل . ففي الحديث القدسي يقول الله عز وجل : **(وما تقرب إليّ عبدي بشيء أحب إليَّ مما افترضت عليه، ولا يزال عبدي يتقرب إليَّ بالنوافل حتى أحبه)**[١] .

٣ ـ قراءة القرآن بالتدبر والتفهم لمعانيه وما أريد به .

٤ ـ كثرة ذكر الله .

٥ ـ تذكر نعم الله التي أسبغها علينا ظاهرة وباطنة، فالإنسان

---

(١) رواه البخاري .

يحب من أحسن إليه ، قال تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾(١) ، وقال تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾(٢) .

٦ـ ترك الذنوب والتوبة منها ، فإنها تمرض القلب فيبغض ما يحبه الله ويحب ما يبغضه الله .

٧ـ البعد عن المجالس التي لا يستفاد منها ، وملازمة الصحبة الصالحة .

٨ـ الدعاء . ومن الأدعية المأثورة عن النبي ﷺ : «...**أسألك حبك وحب من يحبك وحب عمل يقربني إلى حبك**»(٣) .

وعن أبي الدرداء ـ رضي الله عنه ـ قال : قال رسول الله ﷺ : «**كان من دعاء داود** ﷺ : (**اللهم إني أسألك حبك وحب من يحبك والعمل الذي يبلغني حبك ، اللهم اجعل**

---

(١) سورة فاطر ، الآية : ٣ .

(٢) سورة المائدة ، الآية : ١١ ، وسورة الأحزاب ، الآية : ٩ .

(٣) حديث صحيح رواه الإمام أحمد والترمذي .

حبك أحب إليَّ من نفسي وأهلي ومن الماء البارد » [1]

أيتها المسلمة :

حققي شهادتك أن لا إله إلا الله ، وطبقي ما تتلفظين به ، «فإن الإله هو المعبود الذي تألهه القلوب بحبها ، وتخضع له وتذل له ، وتخافه وترجوه ، وتنيب إليه في شدائدها ، وتدعوه في مهماتها ، وتتوكل عليه في حاجاتها ، وتلجأ إليها ، وتطمئن بذكره ، وتسكن إلى حبه » .

(١) رواه الترمذي وقال : حديث حسن .

الحجــاب

من نعم الله علينا أن نساءنا ـ والحق يُقال ـ من خير النساء حشمة وحياءً وعفافاً وتستراً . وهذا اقتبسنه ممن قبلهن من أمهاتهن المحتشمات العفيفات الصالحات ، فحمل الجيل الصالح هذا الأثر عمن سلف .

لكن لما علم أعداء هذا الدين ومن امتلأت قلوبهم بالرغبة في إفساد المسلمين أن أسهل وأقصر وأيسر طرق الإفساد هو إسقاط الحجاب ، فإذا سقط الحجاب سقط الحياء وسقطت الأخلاق فسقط المجتمع كله . . لما علموا ذلك شنوا الحرب متعددة الصور مختلفة الرايات . فمرة يشككون في شرعية الحجاب ، ومرة يشككون في هيئته وصورته ، ومرة يظهرونه مظهر النقص والازدراء ، إلى غير ذلك . وهم في

الغالب يظهرون أنفسهم مظهر الناصح المشفق الحريص على الإصلاح : ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لا تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾(١) . وأحياناً لا يستطيعون أن يكتموا كل ما تكنه صدورهم فيفلت منهم من العبارات ما يفضح حقيقتهم من السب والشتم لهذا الحجاب الذي عرقل مسيرتهم وأربك مخططاتهم وبطأ تحقيق أهدافهم .

وبحمد الله فلا زالت المرأة المجاهدة صامدة ، ولا زال الحجاب عزيزاً . ولكن كلما ضعف الإيمان وقصر العلم حصل التأثر بهم . ولذا نرى من نسائنا من تأثرن بهذه المعركة وخدعن بتلك المكيدة ، فبتن يحاولن التخفف من الحجاب والتملص منه أو التمرد عليه . بل ربما تمادى الأمر ببعضهن فباتت تنظر إلى الحجاب كأنه عقوبة فرضت على النساء ! فسبحان الله العظيم ، ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ

(١) سورة البقرة ، الآية : ١١ .

يُوقِنُونَ﴾ (١) :

إن إدراك المرء لكمال شرع الله ولحسن حكمه مرتبط بيقينه ، فكلما قوي يقينه أدرك ذلك وعلم أن الله أحكم الحاكمين، وأن شرعه تعالى فيه الخير العاجل والآجل ، والثمرات الطيبة والآثار الحسنة . وإذا ضعف إيمانه ونقص توحيده واختل يقينه انقلبت المحاسن في نظره مساوئ .

هذا وإن من الأقوال التي تثار أحياناً الزعم بأن الوجه ليس بعورة . والحمد لله قد نزل الله كتابه تبياناً لكل شيء قال تعالى : ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ (٢) .

ولن نضل ما تمسكنا بكتاب الله وسنة نبينا ﷺ . إنَّما يحصل الضلال وتكثر الأقوال وتتشعب الآراء وتتفرق القلوب إذا هُجر الكتاب والسنة ، كمن اكتفى بعقله واستغنى

(١) سورة المائدة ، الآية : ٥٠ .

(٢) سورة النحل ، الآية : ٨٩ .

عن هدي كتاب ربه وسنة رسول الله ﷺ ، أو من رجع إلى الكتاب والسنة لا رجوع المسترشد المستهدي ، ولكن ليبحث عما يؤيد به هوىً في نفسه مبيتاً وحكماً في عقله مقرراً . وبعبارة مختصرة فإن سبب ضلال من ضل ناشيء عن جهل أو اتباع للهوىٰ أو من اجتماع الأمرين .

إن وجوب ستر المرأة وجهها مسألة بينتها نصوص الكتاب والسنة وعمل نساء الصحابة رضي الله عنهم ومَن بعدهن من نساء المسلمين .

فمن هذه الأدلة :

الدليل الأول :

قول الله تعالىٰ : ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَابِيبِهِنَّ﴾ (1) . والجلباب هو الرداء فوق الخمار ؛ بمنزلة العباءة عندنا . قال ابن عباس

---

(1) سورة الأحزاب ، الآية : ٥٩ .

رضي الله عنهما : (أمر الله نساء المؤمنين إذا خرجن من بيوتهن في حاجة أن يغطين وجوههن من فوق رءوسهن بالجلابيب ويبدين عيناً واحدة) . ويوضح صورة ذلك حديث عائشة رضي الله عنها قالت : «كان الركبان يمرون بنا ونحن محرمات مع الرسول ﷺ فإذا حاذونا سدلت إحدانا جلبابها على وجهها من رأسها ، فإذا جاوزونا كشفناه»(1) .

الدليل الثاني :

قال تعالى : ﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلاَّ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾ (2) الآية ، فقوله تعالى : ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾ يوضح صورته أيضاً ما رواه البخاري عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت : «يرحم الله نساء

---

(1) رواه البخاري .

(2) سورة النور ، الآية : ٣١ .

المهاجرات الأول، لما أنزل الله : ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾ شققن مروطهن فاختمرن بها» . قال ابن حجر العسقلاني [١] ـ رحمه الله ـ في فتح الباري شرح صحيح البخاري : (قوله «فاختمرن» : أي غطين وجوههن . وصفة ذلك أن تضع الخمار على رأسها وترميه من الجانب الأيمن على العاتق الأيسر ، وهو التقنع . قال الفراء : كانوا في الجاهلية تسدل المرأة خمارها من ورائها وتكشف ما قدامها ، فأمرن بالاستتار) . انتهى .

قال العلامة محمد الأمين الشنقيطي [٢] ـ رحمه الله :

---

(١) هو : العالم العلاّمة أحمد بن علي بن حجر العسقلاني صاحب التصانيف المشهور ، تفقه على مذهب الإمام الشافعي ، وبرّز في الحديث حتى صار إماماً من أئمة المسلمين فيه (٧٧٣ ـ ٨٥٢هـ) .

(٢) محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي ، من شنقيط (موريتانيا)، عالم علامة تفقه على مذهب الإمام مالك ـ رحمه الله ـ ، وبرع في أنواع من العلوم قلّ أن تجتمع في واحد ، ولد عام ١٣٢٤هـ ، وتوفي رحمه الله عام ١٣٩٣هـ .

(وهذا الحديث الصحيح صريح في أن النساء الصحابيات المذكورات فيه فهمن أن معنى قوله تعالى: ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾ يقتضي ستر وجوههن، وأنهن شققن أزرهن فاختمرن، أي سترن وجوههن بها امتثالاً لأمر الله في قوله تعالى: ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾ المقتضي ستر وجوههن. وبهذا يتحقق المنصف أن احتجاب المرأة عن الرجال وسترها وجهها عنهم ثابت في السنة الصحيحة المفسرة لكتاب الله تعالى. وقد أثنت عائشة ـ رضي الله عنها على تلك النساء بمسارعتهن لامتثال أوامر الله في كتابه. ومعلوم أنهن ما فهمن ستر الوجوه من قوله: ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾ إلا من النبي ﷺ؛ لأنه موجود ـ بينهم ـ وهن يسألنه عن كل ما أشكل عليهن في دينهن، والله جل وعلا يقول: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾[1]، فلا يمكن أن يفسرنها من تلقاء أنفسهن.

(١) سورة النحل، الآية: ٤٤.

وقال ابن حجر في فتح الباري : ولابن أبي حاتم من طريق عبد الله بن عثمان بن خثيم عن صفية بنت شيبة ما يوضح ذلك ، ولفظه : ذكرنا عند عائشة ـ رضي الله عنها ـ نساء قريش وفضلهن ، فقالت : «**إن لنساء قريش لفضلاً ، ولكن والله ما رأيت أفضل من نساء الأنصار ، أشد تصديقاً بكتاب الله ، ولا إيماناً بالتنزيل ، لقد أنزلت سورة النور :** ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾ **فانقلب رجالهن إليهن يتلون عليهم ما أنزل فيها ، ما منهن امرأة إلا قامت إلى مرطها**[1] **فأصبحن يصلين معتجرات كأن على رءوسهن الغربان**»[2] .

انتهى . ومعنى معتجرات : مختمرات . فترى عائشة ـ رضي الله عنها ـ مع علمها وفهمها وتقاها أثنت عليهن هذا الثناء العظيم ، وصرحت بأنها ما رأت أشد منهن تصديقاً بكتاب الله ، ولا إيماناً بالتنزيل . وهو دليل واضح على أن فهمهن

(١) المِرْط : كساء من صوف أوخز كانوا يأتزرون به .
(٢) في رواية : (من السكينة) .

لزوم ستر الوجوه من قوله : ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾ من تصديقهن بكتاب الله وإيمان بتنزيله كما ترى)[1] . انتهى كلامه رحمه الله .

الدليل الثالث:

قوله تعالى في حق أمهات المؤمنين : ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ﴾[2] . وأَمْر الشارع لواحد من الأمة أمر للأمة كلها ، إلا أن يدل دليل على أن الحكم خاص بمن خوطب به . حتى النبي ﷺ أَمْر الله له أمر للأمة كلها ، إلا أن يدل دليل على أن الحكم خاص به .

ومما يدل على أن الأمر الوارد في الآية عام لجميع النساء قوله تعالى : ﴿ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ﴾ ، فهذا هو علة الأمر وسببه ، (وعموم علته دليل على عموم الحكم فيه) كما

---

(١) أضواء البيان (٦/ ٥٩٤ ـ ٥٩٥) .

(٢) سورة الأحزاب ، الآية : ٥٣ .

في القاعدة الأصولية ، فلا شك أن طهارة قلوب جميع الرجال والنساء أمر واجب ومطلوب ، وأن أهم أسبابها تحجب النساء عن الرجال ، وأنه بفقد التحجب تفقد الطهارة ويحصل ضدها ، فدل ذلك على وجوبه .

الدليل الرابع :

أن النبي ﷺ لما حرم إسبال الثياب قالت أم سلمة رضي الله عنها : فكيف تصنع النساء بذيولهن ؟ قال : «**يرخين شبراً**». قالت : إذاً تنكشف أقدامهن . قال : «**فيرخين ذراعاً لا يزدن**»[1] . فأيهما أدعى لحصول الفتنة وأولى بالتستر : الوجه أو القدمان ؟ هل يظن من فهم الشريعة وعرف بالستر أنها تطلب من النساء ستر أقدامهن وترخص في كشف وجوههن؟

إن هذا التصرف لو صدر من رجل في حق ابنته أو

(١) رواه أبو داود والترمذي ، وقال : حديث حسن صحيح .

زوجته لانتقده الناس وخطّأوه . فكيف يتُصور أن ينُسب هذا إلى شريعة الحكيم العليم ؟

والأدلة كثيرة اقتصرت على ما تقدم طلباً للاختصار .

ولتتميم المقام ، فإن قول الله تعالى : ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾ هي التي لا بد أن تظهر كظاهر الثياب ، ولذلك قال : ﴿مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾ ولم يقل ما أظهرن منها . والزينة في لغة العرب هي ما تتزين به المرأة مما هو ليس من أصل خلقتها . وقد تكررت كلمة «الزينة» في القرآن مراداً بها ما يزيّن به الشيء وهو ليس من أصل خلقته ، كقوله تعالى : ﴿يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ [1] ، وقوله : ﴿إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةٍ الْكَوَاكِبِ﴾ [2] ، وقوله : ﴿وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ﴾ [3] ، وغير ذلك من الآيات

(١) سورة الأعراف ، الآية : ٣١ .

(٢) سورة الصافات ، الآية : ٦ .

(٣) سورة النور ، الآية : ٣١ .

. فدلَّ ذلك على أن معنى ﴿زِينَتَهُنَّ﴾ الوارد في قوله تعالى : ﴿وَلا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلاَّ مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾ ليس مراداً به شيء من بدن المرأة ، وإنَّما هو أمر زائد على ذلك مما تتزين به المرأة من الحلي واللباس ونحوهما ، فهذا لم يرخص في إبداء شيء منه إلا ما ظهر ، وهو ظاهر اللباس كالجلباب والعباءة ، على ألا يكون هو بذاته مدعاة للفتنة (١) . فدلَّ هذا النهي على أنه يحرم أن تبدي المرأة شيئاً من زينتها الباطنة من الثياب التي تحت الجلباب والحلي والكحل ونحوها ، وفي معنى ذلك الطيب فيحرم أن تخرج المسلمة متعطرة إذا كانت تمر على رجال أجانب .

وهذا الكلام إنَّما ينتفع به من بحث عن الحق وحرص على اتّباعه ، أما من اتبع هواه فأمره يختلف ، قال تعالى : ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ﴾ (٢) .

---

(١) يُراجع : أضواء البيان (٦/ ١٩٩) .

(٢) سورة القصص ، الآية : ٥٠ .

ولنأخذ عبرة ممن حولنا ممن أخذوا بالأقوال الضعيفة . كيف آل بهم الأمر من إخراج الوجه ثم شيء من الشعر ثم الشعر كله ثم أطراف الساعدين ثم الساقين ، حتى آل بهم الأمر إلى ما هو معلوم ، حيث غدت بلدانهم وكأنها قطعة من بلاد الكافرين .

ثم انظري أيتها المسلمة إلى عودة صالحاتهم إلى الحجاب الشرعي ، لا الحجاب الناقص ، لما رأى صالحوهم وصالحاتهم ما آل إليه الأمر فعرفوا الحق وتمسكوا به ، مع قلة المعين وكثرة الشامتين وسخرية الساخرين . ولم أنس ما رأيته في بلد هو قلعة من قلاع الحرب للمسلمين وموئل للتفسخ والعري حيث رأيت من نساء المسلمين هناك من بنات ذلك البلد من هي متحجبة حجاباً كاملاً . فقلت في نفسي - سبحان الله - أين بنات بلدي من أولئك اللاتي لا يجدن إلا السخرية والإيذاء ، وأقل ما يواجهنه النظرات المستغربة حيثما حللن وحيثما رحلن . فأسأل الله لنا ولهم الثبات .

كذلك التقيت بأحد الدعاة إثر قيامه بجولة شملت فيما شملت دول أوروبا الشرقية ، فأخبرني أنه لما كان في بلغاريا ذكر له امرأة مسلمة هناك كانت لما طبق النظام الشيوعي وأمروا النساء بنزع الحجاب لم تستجب لهم ، ولأن الخيار ليس بيدها فقد لزمت بيتها حتى لا تخرج سافرة وبقيت كذلك خمساً وأربعين سنة ، يقول وذهبت إليها في بيتها لأسلم عليها .

هذا ، **وإن ستر الوجه عن الأجانب هو الذي كان عليه المسلمون** .

قال ابن حجر ـ رحمه الله ـ : (ولم تزل عادة النساء قديماً وحديثاً يسترن وجوههن عن الأجانب) [١] .

وذكر العلامة الشوكاني ـ رحمه الله ـ [٢] في نيل

---

(١) فتح الباري (٩/ ٣٢٤) .

(٢) هو : العلامة المجتهد محمد بن علي الشوكاني ، صاحب التصانيف في الفقه والحديث والتفسير والأصول وغيرهما من علماء اليمن ، توفي عام ١٢٥٠هـ .

الأوطار اتفاق المسلمين على منع النساء أن يخرجن سافرات الوجوه . . وهكذا قال الإمام الشافعي ـ رحمه الله ـ .

وإن من أهم ما ينبغي التنبيه عليه هنا هو : التذكير بأن الحجاب عبادة نتعبد الله بها ، كما نتعبده بالصلاة والزكاة وسائر شعائر الدين . وهذا أمر غاية في الأهيمة ، ومما يبين أهميته أن من أهم أسباب ترك الحجاب في بلدان كانت تتمسك به وتحافظ عليه ومصيرها إلى ما صارت إليه هو أنهم كانوا يتمسكون بالحجاب ، ويحافظون عليه على أنه عادة ، ورثها الجيل ممن قبله فحسب . وهذا انحراف خطير ، أن تتحول العبادات إلى عادات . فالعبادات ترتبط بأمر الله ونهيه . ويترتب عليها رضى الله وسخطه . أما العادات فهي أمور يتعارف عليها الناس ، وغير مستنكر أن تختفي عادة ويحل محلها أخرى ، وإن استنكر تغييرها من بعض الناس فسرعان ما يلبث هذا الاستنكار أن يخف ثم يزول ويحل محله الإلف والإقرار لتلك العادة الجديدة .

وبعد فيا أيتها المسلمة **احفظي وصيتي هذه** :

اعلمي أن معركة الحجاب قديمة ، ومحاولة إسقاطه ليست وليدة يومنا هذا . وفي كل جولة مضت كان العدو يرجع خاسئاً وهو حسير . والآن وقد وصل الدور إليك ، وأمسكت اللواء بيدك ، فاحذري أن تكون الهزيمة بسببك وأن يكون انتصار العدو في عهدك . فجاهدي لتظل راية الحق خفاقة ولواء الحشمة والعفاف مرفوعاً كما جاهد من قبلك : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾(١) .

---

(١) سورة محمد ، الآية : ٧ .

القرار في البيت

اعتاد بعض النساء كثرة الخروج من البيت ولو لغير حاجة، وهذا مخالف لأمر الله عز وجل في قوله: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾[1] . حتى إن منهن من لو مرّ عليها أيام قلائل وهي لم تخرج تعكر مزاجها وانقبض صدرها، فسبحان الله العظيم . إن أمرها بالقرار بالبيت حكم من لدن الحكيم العليم اللطيف الخبير، الذي خلق الخلق ذكرهم وأنثاهم وهو أعلم بهم وبما يصلحهم وما يصلح لهم ﴿أَلا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾[2] . لكن لما اعتادت كثير من النساء هذا الخروج منذ الصغر ودرجن عليه، صعب عليهن تركه في الكبر . ولا يشك المسلم أن امتثال أوامر الله مرتبط به ـ مع

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٣٣ .

(٢) سورة الملك، الآية: ١٤ .

حسنة الآخرة ـ حسنة الدنيا ، من السعادة والأنس وانشراح الصدر وراحة البال وطمأنينة القلب ، قال تعالى : ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[(١)] ، وأن مخالفة أمره تعالى مرتبط بها ـ مع عقوبة الآخرة ـ عقوبات في الدينا من الهموم والغموم والاكتئاب وقلة التوفيق ، وغير ذلك ، قال تعالى : ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[(٢)] . ولهذا فإنَّنا نرى من قللن الخروج من بيوتهن ـ امتثالاً لأمر الله ـ أسعد حالاً وأشرح صدوراً وأهنأ عيشاً وأكثر وئاماً وتوفيقاً . ولا عجب في هذا ولا غرابة . وقد ذكر سيد قطب ـ رحمه الله ـ كلاماً مفيداً حول قوله تعالى : ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾ فقال : [﴿قَرْنَ﴾ من وقر يقر . أي ثقل واستقر وليس معنى هذا الأمر ملازمة البيوت فلا يبرحنها

---

(١) سورة النحل ، الآية : ٩٧ .

(٢) سورة النور ، الآية : ٦٣ .

إطلاقاً . إنَّما هي إيماءة لطيفة إلى أن يكون البيت هو الأصل في حياتهن ، وهو المقر . وما عداه استثناء طارئاً لا يثقلن فيه ولا يستقررن . إنَّما هي الحاجة تقضى . وبقدرها .

والبيت هو مثابة المرأة التي تجد فيها نفسها على حقيقتها كما أرادها الله تعالى . غير مكدودة في غير وظيفتها التي هيّأها الله لها بالفطرة .

ولكي يهيئ الإسلام للبيت جوه ويهيء للفراخ الناشئة فيه رعايتها ، أوجب على الرجل النفقة ، وجعلها فريضة ، كي يتاح للأم من الجهد ، ومن الوقت ، ومن هدوء البال ، ما تشرف به على هذه الفراخ الزغب . فالأم المكدودة بالعمل للكسب، المرهقة بمقتضيات العمل ، المقيدة بمواعيده ، المستغرَقة الطاقة فيه . . لا يمكن أن تهب للبيت جوه وعطره، ولا يمكن أن تمنح الطفولة النابتة فيه حقها ورعايتها . وبيوت الموظفات والعاملات لا تختلف كثيراً عن جو الفنادق، وما

متلفعات بمروطهن ما يعرفن من الغلس[1] . وفي الصحيحين أيضا أنها قالت لو أدرك رسول الله ﷺ ما أحدث النساء لمنعهن من المساجد كما منعت نساء بني إسرائيل . فماذا أحدث النساء في حياة عائشة رضي الله عنها ؟ حتى ترى أن رسول الله ﷺ كان مانعهن من الصلاة ؟ ماذا بالقياس إلى ما نراه في هذه الأيام ؟] [2] انتهى .

ومما يبين لك - وفقك الله - مكانة قرار المرأة في البيت وحب الله إياه ، أنه خير للمرأة من خروجها إلى أفضل البقاع وهي المساجد ، لأداء أفضل الأعمال وهي الصلاة ، قال رسول الله ﷺ : **«لا تمنعوا نساءكم المساجد وبيوتهن خير**

---

(١) متلفعات : متلحفات أو متلففات - بمروطهن : جمع مرط وهو كساء مخطط يشبه العباءة - الغلس : اختلاط ضياء الصبح بظلمة الليل مع غلبة الظلمة .

(٢) تفسير الآية (٣٣) من سورة الأحزاب باختصار وتصرف يسير .

لهن»[١] . قال الدمياطي ـ رحمه الله ـ المتوفى سنة ٧٠٥هـ : [قد صرح ابن خزيمة وجماعة من العلماء بأن صلاتها في دارها أفضل من صلاتها في المسجد وإن كان مسجد مكة أو المدينة أو بيت المقدس] [٢] انتهى .

وقد عقد في كتابه «المتجر الرابح في ثواب العمل الصالح» فصلاً بعنوان «ثواب صلاة المرأة في بيتها» فقال: [عن ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ عن رسول الله ﷺ قال: «**المرأة عورة، وإنها إذا خرجت من بيتها استشرفها** [٣] **الشيطان، وإنها لا تكون أقرب إلى الله منها في قعر بيتها** » رواه الطبراني بإسناد جيد .

وعن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال :

---

(١) قال في صحيح الجامع، حديث صحيح رواه الإمام أحمد وأبو داود والحاكم.

(٢) المتجر الرابح ص ٨٧ .

(٣) تطلع إليها وطمع فيها .

«**صلاة المرأة في بيتها أفضل من صلاتها في حجرتها** [١] **وصلاتها في مِخْدَعها** [٢] **أفضل من صلاتها في بيتها**» رواه أبو داود وابن خزيمة .

والمراد : أن المرأة كلما استترت وبعد منظرها عن أعين الناس كان أفضل لصلاتها . فالرجل كلما بعد ممشاه وكثرت خطاه زاد أجره وعظمت حسناته ، والمرأة كلما بعد ممشاها قل أجرها ونقصت حسناتها .

وعن أم حميد امرأة أبي حميد الساعدي ـ رضي الله عنهما ـ أنها جاءت إلى النبي ﷺ فقالت : يا رسول الله : إني أحب الصلاة معك . قال : «**قد علمت أنك تحبين الصلاة معي، وصلاتك في بيتك خير من صلاتك في حجرتك ، وصلاتك في حجرتك خير من صلاتك في دارك ، وصلاتك في**

---

(١) هي ما يحتجر في المنزل خارج البيت وقرب الباب ، ولعله يشبه ما يسمى عند الناس اليوم بالملحق .

(٢) قال الدمياطي : «هو الخزانة تكون داخل البيت» أ.هـ. قلت : الأشبه بذلك غرفتها الخاصة بها ، والله أعلم .

دارك خير من صلاتك في مسجد قومك ، وصلاتك في مسجد قومك خير من صلاتك في مسجدي » . قال فأمرت فبُني لها مسجد في أقصى شيء من بيتها وأظلمه ، وكانت تصلي فيه حتى لقيت الله عز وجل . رواه أحمد وابن خزيمة وابن حبان.

قلت ـ الدمياطي ـ كان النساء في عهد رسول الله ﷺ إذا خرجن من بيوتهن يخرجن متبذلات متلفعات بالأكسية لا يعرفن من الغلس ، وكان إذا سلم النبي ﷺ يقال للرجال: مكانكم ، حتى ينصرف النساء . ومع هذا قال رسول الله ﷺ : **[إن صلاتهن في بيوتهن خير لهن]** انتهى باختصار[1] .

هذا ، ولا تنسى أعانك الله على طاعته أن الحسنة تستتبع حسنات ، والسيئة يتبعها سيئات .

فانظري إلى كثرة الخروج ماذا يترتب عليه . فغالباً أنه لا يخلو من أن تترتب عليه مخالفات ، كالتقصير في حق الأولاد أو حق الزوج ، أو التأخر عن فريضة من الفرائض ،

(١) ص ٨٥ـ٨٨ .

أو التعرض لمجلس الغيبة واللغو ، أو الاختلاء بالسائق ، أو التعرض لنظرات الفساق وإيذائهم ، كما أنه يتطلب الاستعداد له بكثرة اللباس وتنوعه . إلى غير ذلك من الأمور المكروهة أو المحرمة . ولو لم يكن فيه إلا أنه من الساعات التي سيسأل عنها كل عبد وكل أمة فيم أفناها لكان كافياً .

ولذلك فيا أمة الله جاهدي نفسك في امتثال أمر الله ، وأيقني بأن ما اختاره الله لك خير لك مما تشتهيه نفسك . ولا تقارني نفسك بالمقصرات فترين أنك كاملة ، ولكن انظري إلى من هو أفضل منك وأكمل في التمسك بالدين وامتثال أوامر الله ، سواء كانوا من المعاصرين أو من السالفين ، فاقتدي بهم ونافسيهم : ﴿وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾[1] .

وأبشرك بأن من حرص على امتثال أمر الله وجاهد نفسه في ذلك أعانه الله ووفقه ويسر له الطاعة ، بل وحببها

---

(٢) سورة المطففين ، الآية : ٢٦ .

إلى نفسه ، فطعم حينئذ طعم السعادة الحقيقية . قال الله عز وجل : ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (١) . وفي الحديث القدسي يقول الله عز وجل : **(من تقرب مني شبراً تقربت منه ذراعاً ، ومن تقرب مني ذراعاً تقربت منه باعاً ، ومن أتاني يمشي أتيته هرولة)**(٢) .

---

(١) سورة العنكبوت ، الآية : ٦٩ .

(٢) رواه مسلم .

تحقيق التوحيد طريق الإصلاح

تلك أمور تعين التنبيه عليها ، والرجل العاقل والمرأة اللبيبة إذا دعيا إلى الله لبيا ، وإذا نوديا استجابا ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾[1] .

وليكن معلوماً أن أحكم منهج لبناء النفس وتربيتها وعلاج نقائصها وتصحيح أخطائها هو منهج النبي ﷺ : ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾[2] . فمن أراد إصلاح نفسه وإصلاح غيره فليبدأ بما بدأ به النبي ﷺ وسائر الأنبياء عليهم الصلاة والسلام . لقد كانوا يبدأون بدعوة أقوامهم إلى

---

(١) سورة الأحزاب ، الآية : ٣٦ .

(٢) سورة الأحزاب ، الآية : ٢١ .

التوحيد قائلين لهم : ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُه﴾[1] .
وما قد يكون في أقوامهم من انحرافات بارزة فإنهم لا يغفلونها بل يعالجونها مربوطة بذلك الأصل (التوحيد) ، كما عالج شعيب عليه السلام انحراف قومه بتطفيف المكيال والميزان ، وهكذا لوط وغيره عليهم السلام .

إن العبد إذا صح توحيد صحت باقي أحواله ، وانقاد لأوامر الله واجتنب نواهيه ، وإن وقع منه تقصير فسرعان ما يرجع . أما إن اختل التوحيد فكالبناء الذي اختلت قاعدته وأساسه ، لا يحتمل أن يقام عليه شيء . ومما يبين منزلة التوحيد أن كل كمال في المرء ـ كالقيام بحق كتاب الله والمحافظة على الصلوات والخشوع فيها والعطف على الأيتام والإحسان إلى المساكين والحرص على بر الوالدين وصلة الأرحام وحسن الخلق ، وغير ذلك من الأخلاق الحميدة ـ

(١) سورة هود ، الآية : .

فهو فرع عن التوحيد وثمرة ونتيجة من نتائجه . وفي المقابل فكل عيب ونقص أو تفريط في أي مجال من مجالات الخير فهو بسبب نقص في التوحيد وضعف فيه . فلتكن أول خطوة لنا في إصلاح أنفسنا وإصلاح غيرنا أن نراجع توحيدنا ونكمل نقصه . وما من شك أن مجتمعنا ولله الحمد أفضل المجتمعات المعاصرة ـ في الجملة ـ وأقومها منهجاً وأصحها توحيداً ، فلقد تفيأ بحمد الله ظلال الدعوات الإصلاحية التي تأست بالنبي ﷺ وسلكت مسلكه وعملت بوصيته في التمسك بسنته وسنة الخلفاء الراشدين المهديين ، فنهجت منهج السلف الصالح . فقطف مجتمعنا من جنى تلك الشجرة الطيبة ثمرات يانعة لا زال يتمتع بها وينعم فيها . ولكن لما خف شأن الدين في نفوس كثيرمن الناس ، وزهدوا في العلم النافع الذي يذكر العبد بالغاية التي خلق لها ويبصره بالطريق التي يحقق بها تلك الغاية ، افتتنوا بالدنيا . . فحينئذ بهتت حقيقة التوحيد في نفوس كثير منهم، وصارت عندهم

كأنها لقب يورث أو مجرد نسبة ينتسب إليها كما ينتسب إلى البلد والقبيلة .

وهذا الانحراف غاية في الخطورة ، إذ هو متعلق بالأصل وبالأساس وبالقاعدة ، فأي نقص يمسها يعود أثره- ولا بد- على ما يبنى عليه . وواكب ذلك تماماً القصور في فهم الشرك ، وقصره على بعض صوره . فإن بعض الناس لما درسوا أن من أمثلة الشرك الأكبر عبادة الأصنام ودعاء الأموات والذبح لغير الله توهموا أن الشرك ينحصر في هذه الأفعال ، وهم لأنهم سالمون منها فقد سلموا من الشرك الأكبر . ولما درسوا- كذلك أن من أمثلة الشرك الأصغر الحلف بغير الله وقول لولا الله وأنت وتعليق التمائم توهموا أن الشرك الأصغر ينحصر فيها ، ولأنهم سالمون منها فقد سلموا من الشرك الأصغر . وبهذا- حسب هذا الفهم القاصر - فقد سلموا من الشرك كله كبيره وصغيره . إذن فقد حققوا التوحيد ، ولا خوف عليهم من الشرك .

لو كان الأمر هكذا فما تفسير خوف الأنبياء والصالحين على أنفسهم وبنيهم منه؟ ألم يدع إبراهيم ﷺ وهو خليل الرحمن ومكسر الأوثان وأبو الأنبياء ألم يدع ربه قائلاً ﴿وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ الأَصْنَامَ﴾(١) ؟ ألم يبتدئ لقمان وصاياه لابنه وهو يعظه بتحذيره من الشرك فقال : ﴿يَا بُنَيَّ لا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾(٢) . ولقد حذر النبي ﷺ أمته منه غاية التحذير ، وبين خطره وشده خفائه حتى يتحرزوا منه ويحذروا الوقوع فيه . روي عنه ﷺ أنه قال : **«الشرك في أمتي أخفى من دبيب النمل على الصفا »**(٣) .

إن صور الشرك أكثر من أن تحصر .

إن من الشرك مراءاة المخلوقين ، ومن الشرك الاعتماد على الأسباب ، ومن الشرك إرادة الإنسان بعمله الدنيا ،

---

(١) سورة إبراهيم ، الآية : ٣٥ .

(٢) سورة لقمان ، الآية : ١٣ .

(٣) قال في صحيح الجامع : حديث صحيح رواه الحكيم الترمذي .

ومن الشرك : إتيان الكهان والسحرة ، ومن الشرك التشاؤم بالحيوانات أو الأزمة أو الأمكنة وغيرها ، ومن الشرك النظر في الأبراج لمعرفة المستقبل ، ومن الشرك طاعة من حرم ما أحل الله ، أو أحل ما حرم الله ، ومن الشرك موالاة أعداء الله ومعادة أوليائه ، ومن الشرك الإفراط في حب الأموال والأولاد وغيرهما من المحبوبات ، قال رسول الله ﷺ : **«تعس عبد الدينار وعبد الدرهم وعبد الخميصة ، إن أعطي رضي وإن لم يعط سخط ، تعس وانتكس ، وإذا شيك فلا انتقش»**[1] .

هذا ، وإن من محاسن ديننا يسره ووضوحه ، ومن ذلك وضوح أصله وقاعدته وهي التوحيد . ولكن بسبب الإعراض عن تعلم الدين والاغترار بالدنيا قصّر من قصر في التوحيد ووقع في الشرك .

«إن التوحيد الذي جاءت به الرسل عليهم السلام

(١) رواه البخاري .

يتضمن إثبات الإلهية لله وحده ، بأن تشهد أن لا إله إلا الله ، فلا تعبد إلا إياه ، ولا تتوكل إليه عليه ، ولا توالي إلا له ، ولا تعادي إلا فيه ، ولا تعمل إلا لأجله ».

والشرك ـ وهو أعظم ذنب عصي الله به ـ لا ينجو منه إلا من كمل توحيد الله ، وعادى المشركين في الله ، وتقرب إلى الله ببغضهم ، واتخذ الله وحده وليه وإلهه ومعبوده ، فأخلص حبه لله ، وخوفه لله ، ورجاءه لله ، وذله لله ، وتوكله على الله ، واستعانته بالله ، والتجاءه إلى الله ، واستغاثته بالله . متبعاً لأمره متطلباً مرضاته ، إذا سأل سأل الله ، وإذا استعان استعان بالله ، وإذا عمل عمل لله . فهذا هو الذي حقق التوحيد وسلم من الشرك» .

هذا وبالله التوفيق والله أعلم . وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه . والحمد لله رب العالمين .



الفهرس

الموضــوع	الصفحة

الموضـــوع	الصفحة



في هذه الرسالة

أيتها المسلمة احفظي وصيتي هذه :

أعلمي أن معركة الحجاب قديمة ، ومحاولة إسقاطه ليست وليدة يومنا هذا، وفي كل جولة مضت كان العدو يرجع خاسئاً وهو حسير. والآن وقد وصل الدور إليك، وأمسكت اللواء بيدك ، فاحذري أن تكون الهزيمة بسببك ، وأن يكون انتصار العدو في عهدك فجاهدي لتظل راية الحق خفاقة ولواء الحشمة والعفاف مرفوعاً كما جاهد من قبلك: «يا أيها الذين آمنوا إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم».

مطابع الحميضي هاتف : ٤٥٨١٠٠٠

ردمك : ٩٩٦٠ - ٩١٨٥ - ٢ - ١